... خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كلِّهم...

عادة عند كتابة سيرة العظماء والقادة تكون هناك خطوطٌ حمراء لا يمكن تجاوزها وهي التي تختص بالبيت ، أي علاقته مع أهله وأولاده ونحو ذلك.

أما سيرة سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام فهي كتاب مفتوح للجميع ، حيث نقلت أمهات المؤمنين كل ما يتعلّق برسول الله ﷺ ، فكانت سيرةً تعبق بالمسك ، كيف لا ، وهو الذي يقول: «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي»[1].

وما أروع قول عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت: ما كان النبيّ ﷺ يصنع في أهله؟.

قالت: كان في مهنة أهله ، وكان ألين الناس ، وأكرم الناس ، وكان رجلاً من رجالكم إلاّ أنه كان ضحّاكاً بسّاماً ، فإذا حضرت الصلاة قام إلىٰ الصلاة[2].

بل والأعجب من ذلك أنه صلوات الله عليه كان يختلف مع زوجاته ، وكان يترك البيت أحياناً ، وكانت أصوات الزوجات ترتفع فوق صوته و.. و..!!.

ومع ذلك كان ﷺ يصفح.. ويعفو.. ويسامح.. ويُعاشر بالحسنىٰ...

مصداق ذلك قول عائشة رضي الله عنها: كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلامٌ ، فقال: «من ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين أبا عبيدة بن الجراح؟».

---

(١) سنن ابن ماجه: ١/ ٦٣٦.

(٢) صحيح البخاري: ٨/ ١٧.

قلتُ: لا ، ذاك رجلٌ لن يقضي لك عليَّ؟

قال: «أترضين بعمر؟» قلتُ: لا ، إني أَفرَقُ من عمر ، قال: «فالشيطان يفرقُه ، أترضين بأبي بكر؟» فقلتُ: نعم ، فبعث إليه فجاء.

فقال رسول الله ﷺ لأبي: «اقض بيني وبين هذه» ، قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فتكلّم رسول الله فقلتُ له ، اقْصِدْ يا رسول الله!!.

قالت: فرفع أبو بكر يده فلطم وجهي لطمةً بَدَرَ منها أنفي ومنخرايَ دماً ، وقال: لا أبا لك! فمن يقصد إذا لم يقصد رسول الله ﷺ!.

فقال رسول الله صلوات الله عليه: «ما أردنا هذا» وقام فغسل الدم عن وجهي وثوبي بيده[1].

أجل يا روح الوجود يا محمّد!

ما أروع تلك المعاملة.. وما أجمل ذاك الخُلق العظيم ، فصلوات الله عليك في كل وقتٍ وحين:

تبارك الله عمّا قال جاحدهُ ... وجاحد الحقّ عند النصر مخذولُ
والفوز في أمةٍ ضوء الوضوء لها ... قد زانها غُررٌ منه وتحجيلُ
تظلّ تتلو كتاب الله ليس به ... كسائر الكتب تحريفٌ وتبديلُ
فالكتب والرسل من عند الإلٰه أتت ... ومنهمُ فاضلٌ حقاً ومفضولُ
والمصطفىٰ خير خلق الله كلهم ... له علىٰ الرسل ترجيحٌ وتفضيلُ

* * *

(١) سنن أبي داود: ٥/ ٧١ ، وفاء الوفاء: ٢/ ٦٥٢.